المحاضرة الثالثة نصوص من خطب صدر الإسلام:

النثر الإسلامي:

تمهيد:

لقد كان مجيء الإسلام حدثا عظيما في الأمة العربية، وقد كان ثورة على الأوضاع القائمة؛ السياسية منها والدينية والاجتماعية، فأحدث تغييرا كبيرا في كل مناحي الحياة العربية، ويصف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الأثر الذي أحدثه الإسلام في قوله:"تبدلت أوضاع الحياة العربية بعد الإسلام تبدلاً ملموساً، وتغير أعظم التغير، مظهرها وانقلب انقلاباً شديداً جوهرها وأصبح السمت غير السمت، والسلوك غير السلوك، والخلائق والشيم غير تلك التي كانت تشيع في الجاهلية، وتسيطر على مناحي الفكر. كانت الحياة الفكرية في الجاهلية تعتمد على الشعر به مفاخراتهم ومنافراتهم، وعليه تقوم خصوماتهم، فكان لسانهم المعبر عن كل ما يضرم في صدورهم من أفكار ويختلج في أفئدتهم من أحاسيس"[1]؛ فلم تعد الحياة الثقافية والأدبية مثلما كانت في الجاهلية سواء في الأشكال أم في المضامين.

ويصف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بعض الذهنيات والحميَّات والعصبيات الجاهلية التي وضعها الإسلام: " فلما جاء الإسلام طوى ذلك البساط بما عليه من تنافر وتناحر، وما يضم من أحقاد غادرة، وأضغان ثائرة، وخصومات منكرة، وقضى على تلك الحمية حمية الجاهلية، وبغض إلى الناس التفاخر بالآباء والأنساب، وأمتن على أتباعه وأوليائه بأن الله أذهب عنهم نخوة الجاهلية، وتفاخرها بالآباء فقال: أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"[2]؛

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، وآخرون: الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان،1992، ص131 .

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، وآخرون: الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان،1992، ص131 .

كان ظهور الدين الإسلامي حدثاً عظيمًا في الأمة العربية، كما كان تحولاً بارزًا وضخما في تاريخ الإنسانية، حيث بعث الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، وبعد أن كان الناس في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وبعد أن أسِنَت الحياة وفسدت بما ضلَّ الناس طريق الله رب العالمين، وصراطَه المستقيم. وقد احتاجت الدعوة الإسلامية إلى الخطابة في نشر تعاليم الدين الجديد وإقناع الناس بما جاء به من عقائد وتشريعات، ولذلك نشطت الخطابة في صدر الإسلام نشاطا كبيرا.

1- عوامل ازدهار الخطابة في عصر النبوة:

لقد توفر للخطابة في صدر الإسلام مجموعة من العوامل ساهمت بشكل كبير في نشأة الخطابة الإسلامية في البيئة العربية في بداية الدعوة الإسلامية، وفيما يلي توصيف للدكتور غازي طليمات يصف فيه حالة المجتمع العربي في الجاهلية، حيث يقول:" كان المجتمع العربي قُبيل بزوغ الإسلام يعيش في مرحلة انتقالية، يسودها الترقُّبُ، والترصد، ويصطرع فيها الأمل واليأس، والواقع والمتوقع، والمعيشُ والمرجو والنزعتان القبلية والقومية، والديانتان: الوثنية والحنفية على نحو غامض متداخل العناصر والصور، متناقض المشاعر والأفكار، كأن القوم كانوا ، وهم يعانون ما يعانون، يُحسون إحساساً خفيّاً أنهم مقبلون على عصر جديد ودين جديد، يهبط عليهم من السماء ليصلح ما أفسد أهلُ الأرض"[1]؛ وقد شاع الفساد الديني والأخلاقي شيوعا كبيرا بين العرب وغير العرب من العجم، وضج الناس بالظلم والظالمين، واشتد شوقهم لنبي الرحمة الذي يبعثه الله ليصلح ما أفسد الناس.

وقد كان الرهبان من النصارى وغيرهم يترقبون ظهور الإسلام ونبي آخر الزمان وفي هذا يقول الدكتور عرفان الأشقر:" ومن الخطباء الجاهليين الذين توقَّعوا بزوغ هذا الدين، وبشروا به، ومن وحثّوا قومهم على نصرته والإيمان به قس بن ساعدة الإيادي، إذ خطب العرب في سوق عكاظ فكان ممَّا قال: إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لَعِبراً .. يقسم

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص239 .

قس بالله قسماً لا إثم فيه إن الله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه. فطوبى لمن أدركه فاتَّبعه، وويل لمن خالفه"[1]؛

يقول الدكتور شوقي ضيف: "كان ظهور الإسلام إيذانا بتطور واسع فى الخطابة، إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة حيث ظل ثلاثة عشر عاما يعرض على قومه من قريش وكلّ من يلقاه فى الأسواق آيات القرآن الكريم، وهو فى أثناء ذلك يخطب فى الناس داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، محاولا بكل طاقته أن يوقظ ضميرهم بما يصوّر لهم من قوة الكائن الأعلى مدبّر الكون ومنظمه، الذى لم يخلقهم عبثا، وإنما خلقهم ليعبدوه حق عبادته، وليستشعروا كل ما يمكن من الكمالات الروحية والاجتماعية والإنسانية، حتى تتم لهم السعادة فى الدنيا والآخرة"[2]؛

ويقول شوقي ضيف:" وهاجر الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة، فاتصلت خطابته، واتسعت جنباتها، بما أخذ يشرّع للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التى ينبغى أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون فى سبيل الحق والخير، وهو فى تضاعيف ذلك يأخذهم بآداب رفيعة من السلوك السامى، مبينا لهم معانى الإسلام الروحية التى تقوم على معرفة الله الواحد الأحد والصلة به، كما تقوم على معرفة العمل الصالح وأن وراء هذه الحياة حياة أخرى يحاسب فيها الإنسان على ما قدّمت يداه ولو كان مثقال ذرّة. وما يزال يعرض أوامر الدين ونواهيه، واضعا الحلول لكثير من المشاكل الدنيوية، كمشكلة الرقيق ومشكلة توزيع الثروة ومشكلة العلاقات بين الرجل والمرأة، وغير ذلك من مشاكل حلّت بما يحقق سعادة الجنس البشرى وهناءته"[3]؛ ومن أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار الخطابة في صدر الإسلام ما يلي:

1- الفكر الإسلامي: يرى الدكتور غازي طليمات أن الإسلام بما يشتمل عليه من فكر قد عمل على تطوير الخطابة العربية عما كانت عليه في الجاهلية من حيث مضامينها، فيقول:"كانت خُطب العرب في العصر الجاهلي مجموعةً غير متوائمة من تأملات في الكون

---

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص239 .

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، مصر،1960، ج2، ص106.

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، مصر،1960، ج2، ص106.

متفرقة، ونظرات في الحياة متباعدة، لا يُسْلَك فيها خيط منطقي يشد آخرها إلى أولها، ولا يوحدها تصوُّرٌ فلسفي عام. بل كانت إلى الحَدْس أقرب منها إلى اليقين على النحو الذي رأيته في خطبة قس بن ساعدة فلما بزغ الإسلام رفد الخطابة بتصور متكامل يتعامل مع الحياة والكون على هدى وبصيرة، ولا يقتصر هذا التصور على التأمل في الحياة الدنيا، وإنما يربط الدنيا بالآخرة، وعالم الشهادة بعالم الغيب. ومن هذا التصور استلهم الخطباء كثيراً من المواعظ التي تبغض إلى الناس السَّرَف في الترف والإقبال على المال وحبَّبَ إليهم العبادة والزهادة والتوسط"[1]؛

يقول الدكتور عرفان الأشقر:"والاعتدال والتاخي في الدين وسما برغابهم من الشهوات الحسية إلى افق رفيع من البر والتقوى والتضحية في سبيل الله. وباختصار شديد نستطيع أن نقول: إن الإسلام ارتقى بأفكار الخطباء، وهذب مشاعرهم، ووقفهم على ما لم يكن لهم به عهد بعدما نشأهم على عقيدة جديدة، وتشريع جديد وعَمَلُ الإسلام في الخطابة لم يقتصر على الموضوعات والمعاني، بل اتَّسع وتعمق، وابتكر أنماطاً جديدة من الخطابة الفكرية والدينية، لم يكن للعرب بها عهد. ومنها الخُطب التي تلقى في المناسبات الدينية، وأبرزها خُطَبُ الجمعة والعيدين والوقوف بعرفة. لقد كانت هذه الأنماط في بداية العصر النبوي والراشدي إلى البساطة أقرب لكنَّها مع مرور الأيام، ومع تحولها من شعائر جديدة إلى تقاليد تليدة، أخذَتْ تترسخ وتتوسع ، وتنمو وتسمو، وتتزيا بأزياء ذوات سمات ثابتات"[2]؛.

يقول الدكتور غازي طليمات:"وإذا كان هذا العامل قد شقَّ السُّبل أمام أنماط من الخطابة جديدة، فإنه أغلق السبل أمام أنماط من الخطابة قديمة أخذت أصداؤها تخفت وراحت أضواءها، تبهت لأنها أصبحت منافية للقيم والأخلاق والمُثُلِ العليا التي أتى بها الإسلام ودعا الناس إلى التزامها، ورأس هذه الخطب المنافراتُ والمفاخرات التي كانت أصواتها تتردد في آفاق الأسواق، وتصدح بها الحناجر بالمآثر ، ويتغنى فيها الخطباء بمناقب ،قبائلهم، أو يتحدون خطباء القبائل الأخرى على نحو يثير العصبية، ويفرِّق

---

[1]– غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[2]– غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

الصفوف. وقبل أن يلحق النبي الهلال وبالرفيق الأعلى حرَّم هذا الضرب من الخطب في حجة الوداع، إذ قال: «وإن مآثر الجاهلية موضوعةٌ غير السدانة والسقاية "[1]؛.

2- حركات الردة:

كانت حركات الردة بعد وفاة النبي (صلعم)، من أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الخطابة العربية في صدر الإسلام، وفي هذا يقول غازي طليمات:" لم يكن إلغاء المفاخرة بالمآثر القبلية إلا جانباً واحداً من الموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية التي عالجها النبي (صلعم)، وهو يخطب خطبة الوداع في بطن عرنة من عرفات أما الجوانب الأخرى فأكبر وأخطرُ، وأخطرها الخوف من تفرُّق الأمة، ومن إراقة الدماء، وكأنه كان يستشرف معالم المستقبل ببصيرته الصادقة ولهذا حذّر المسلمين من الفرقة والارتداد بعد الإيمان والاتحاد، ودعاهم إلى أن يصونوا أعراضهم من الهتك وأرواحهم من الفتك، وحرَّم عليهم الاقتتال فقال: فلا ترجِعُنَّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله»"[2]؛.

يقول سليمان الأشقر:" وصدق الحدس النبوي الذي لا ينطق عن الهوى، إذ وقع ما كان يتوقع ، وارتدَّتْ قبائل كثيرة بعيد وفاة النبي : ارتد بنو حنيفة، وجعلوا نُبوَّتهم في مسيلمة الكذاب. وارتدَّ المضريون وجعلوا نبوّتهم في رجل وامرأة، وهما : خويلد الأسدي وسجاح التميمية. وارتدَّ أهل اليمن وتنبأ فيهم الأسودُ العَنْسي. ومضت كل قبيلة تنافس غيرها بنبي دعي ونبوة مفتراة، وتسير خلف من لا يمتلك فضيلةٌ واحدةٌ من فضائل الأنبياء والصدّيقين[3]؛.

يقول غازي طليمات:" وكان لحركات الارتداد أثرها العميق في الرقي بفنّ الخطابة، لأنَّها حرَّكت العقول، وأثارت المشاعر، وأنطقت الخطباء. إذ كان بعضُهم ينطقُ بالحق ليحرّض المخلصين على الجهاد وكان بعضهم ينطق بالباطل ليشجّع المتردّدين على الارتداد

---

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[2]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[3]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

ونجم عن التعارض بين الحق والباطل، بين الوحدة والرّدة لغو سخيف يرويه المرتدون عن المتنبئين ، وخُطَبٌ واعية يحرّض بها الأمراء والقوّادُ الأجناد على الجهاد. وفي مثل هذه الفتن يحتدمُ الجدال قبل القتال وينهد الشعراء والخطباء لإذكاء الحروب، فيدافع كلٌّ فريق عمَّا يعتقد أنه الحق ، ويتهم أعداءه بالمروق والفسوق [1]؛.

3- الفتوحات الإسلامية:

يقول غازي طليمات:" خرجت الأمة العربية من حروب الردة أقوى مما كانت عليه قبل اقتحامها لأن هذه الحروب قضت على الشقاق والنفاق واقتلعت جذور المكائد والفتن وأحرقت صدأ الخيانة الذي خالط جوهر الإيمان، ورسخت في القلوب المخلصة حبّ الشهادة، وفي السواعد الأيدة الإصرار على الجهاد فعافت شهوات الدنيا، وانطلقت إلى الشام والعراق تفتح وتحرر وتهدي وتوحد وتنشر القيم الإنسانية، والمبادئ والمُثل الإسلامية باللسان قبل السنان، وبالكلمة الطيبة قبل السيف المرهف. [2]؛.

يقول غازي طليمات:" لقد كان كبار القادة وصغارُ الوعاظ والمحرضين يخطبون قبل اقتحام الميادين خُطباً قصيرة ،الفقرات حادة النبرات شديدةَ الوقع، تستلهمُ معانيها ومشاعرها وصورها من الكتاب والسُّنة. كان الخطباء يبشرون الأحياء بالنصر والشهداء بالجنة، فيطيع الأجناد القواد، ويصدعون بما يؤمرون ويتنافسون أيهم يكون السابق إلى العدو، المتصدّي لمرازبة الفرس، المتحدِّيَ دماسقة الروم. كانوا يندفعون وفي مسامعهم تجلجل أصداء الخطب وأمام عيونهم تتراءى رياض الجنة، وليس لهم من غاية إلا إحدى الحسنيين : النصر في الدنيا، والأجر في الآخرة. [3]؛.

يقول غازي طليمات:" وأهم ما ميّز الفتوح من حروب الردّة الوحدة بعد الفرقة، وانصهار العصبيات القبلية التي بعثتها الردَّة من مراقدها في الحس القومي والجهاد الديني، فتحولت العصبيات المتنافرة إلى قومية متآزرة، والنبوّات المفتراة إلى إيمان صادق بنبي واحد وإله واحد ودين واحد. وحرص الخطباء الميدانيون على أن يبثوا هذه الروح في صفوف

---

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[2]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[3]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

المحاربين، ففعلت خطبهم ومواعظهم فعلها في تعبئة الجند وإشعال الحمية، وتحقيق النصر بعد النصر "[1]؛.

4- الفتنة:

يقول غازي طليمات:" الفتنة : لم يَطل عهد العرب بالوحدة التي عقدت أواصرها الفتوح، إذ استيقظت عوامل الفرقة في عهد عثمان بعد أن ظلت هاجعة أيام الصدّيق والفاروق، وأخذت رؤوس الضلال ترتفع، وألسنة الباطل تتشدق، وفي كل رأس مطمع من مطامع الدنيا، وعلى كل لسان حجة "[2]؛.

3- أنواع الخطابة:

تعددت أنواع الخطبة في عهد صدر الإسلام، وذلك حسب ما يتطلبه السياق الذي يكون فيه الخطيب والجمهور المتلقي للخطبة، وفي هذا يقول الدكتور غازي طليمات: " إذا كان الشعر ينقسم وفق أغراضه إلى فخر ومدح، وهجاء ورثاء، فإن للخطابة كذلك أنواعا تنشعب إليها وفق أغراضها وموضوعاتها. ولكل نوع منها أفكاره وملامحه، وخطباؤه وأعلامه، وطريقته في العرض، وتغليبه العقل على العاطفة، والعاطفة على العقل، واتخاذه أسلوبا خاصا به، يلتزمه الخطيب لئلا يخالف عما ألفه الناس"[3]؛ وفيما يلي أنواع الخطبة في عصر صدر الإسلام والخلافة الراشدة:

1- الخطبة الاجتماعية:

6- نصوص مختارة من عصر صدر الإسلام:

أ- خطب الرسول (صلعم):

---

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[2]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص240.

[3]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: النثر في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا،2007، ص239 .

كانت الدعوة الإسلامية في بداية الأمر سرية مدة من الزمن في مكة، ثم جاءه الأمر من الله بالجهر بالاسلام، يقول محمد الخضري: " مضت كل هذه المدة والنبي عليه الصلاة والسلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية، ولم يكن المسلمون يتمكّنون من إظهار عبادتهم حذرا من تعصب قريش. فكان كلّما أراد العبادة ذهب إلى شعاب مكة يصلي مستخفيّا. ولمّا دخل في الدين ما يربو على الثلاثين، وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم، اختار لذلك دار الأرقم بن أبي الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم- ومكث عليه الصلاة والسلام يدعو سرّا حتى نزل قوله تعالى في سورة الحجر فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فبدّل الدعوة سرا بالدعوة جهرا ممتثلا أمر ربه واثقا بوعده ونصره، فصعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب قريشا، فقال عليه الصلاة والسلام: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله في شأنه تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ . والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لأنها كانت تقول على رسول الله الكذب في نوادي النساء"[1]؛.

<u>أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه</u>

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "**إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا**"[2]؛

ويقول محمد الخضري في حديثه عن الانتقال من الدعوة السرية إلى الدعوة جهرا:" ثم نزل عليه في سورة الشعراء وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «١» وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ أي العشيرة والأقربون فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ فجمعهم عليه الصلاة والسلام وقال لهم: إن

---

[1]- محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2017، ص 26 .

[2]- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ط1، المكتبة العلمية، بيروت،لبنان،1933، ج01، ص147.

الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلّا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، ولتجزون بالإحسان احسانا وبالسوء سوا، وأنها لجنة أبدا أو لنار أبدا.يقول الخضري:" فتكلّم القوم كلاما ليّنا غير عمه أبي لهب الذي كان خصما لدودا فإنه قال: خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن سلمتوه إذا اذللتم، وأن منعتموه قتلتم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنّه ما بقينا، ثم انصرف الجمع"[1]؛

ويقول محمد الخضري:" ولمّا جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤوا به في مجالسهم، فكان إذا مرّ عليهم يقولون: هذا ابن أبي كبشة يكلّم من السماء! وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك، فلمّا عاب آلهتهم وسفّه عقولهم وقال لهم: والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم، ثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا إلى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلي بينهم وبينه أو يكفّه عما يقول، فردّهم ردّا جميلا فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله لما يريده لا يصدّه عن مراده شيء، فتزايد الأمر، وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وحثّ بعضهم بعضا على ذلك. ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له: إن لك سنّا وشرفا ومنزلة منّا، وإنا قد طلبنا منك أن تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنّا والله لا نصبر على هذا"[2]؛

<u>أول خطبة خطبها بالمدينة</u>

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

"أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم؛ تعلمن، والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فلبغك، وآتيتك مالًا، وأفضلت عليك؛ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينًا وشمالًا؛ فلا يرى شيئًا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جنهم؛ فمن استطاع أن يقي وجهه من النار، ولو بشق من تمرة

---

[1]– محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2017، ص 26 .

[2]– محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2017، ص 26 .

فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة؛ فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم وعلى رسوله الله ورحمة الله وبركاته"[1]؛

خطبة الرسول في حجة الوداع:

" عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير؛ فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ما تحقرون من أعمالكم، أيها الناس: {إِنَّمَا النَّسِيء زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرًا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

---

[1]– أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ط1، المكتبة العلمية، بيروت،لبنان،1933، ج01، ص147.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه؛ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى؛ ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله. "

ب- خطب الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ج- خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

خصائص الخطابة في صدر الإسلام:

يقول بطرس البستاني في وصف الخطابة في عصر صدر الإسلام أنها:" تمتاز الخطابة في صدر الإسلام بطلاوة أسلوبها، وقصر جملها، وتخير ألفاظها. والخطب على ضربين: منها الطوال التي كثر فيها الإطناب، ومنها القصار التي غلب عليها الإيجاز مع بلوغ القصد، وقصارها أكثر شيوعا من طوالها، وكانت تبدأ بالحمدلة، وكثيرًا ما تعتمد على الآيات؛ لما للقرآن من التأثير في نفوس المسلمين؛ وربما جاءت الخطبة برمتها مجموعة آيات كخطبة مصعب بن الزبير لما قدم العراق داعيًا أهله إلى مبايعة أخيه عبد الله .

وكثر عدد الخطباء في هذا العصر لكثرة الحاجة إليهم، وكان النبي خطيبًا، والخلفاء الراشدون جميعا وأخطبهم الإمام علي، واشتهر الخوارج بجزالة ألفاظهم، وبلاغة منطقهم، ومنهم قَطَرِي بن الفجاءة، وله خطبة بليغة في ذم الدنيا. وضرب المثل بفصاحة سحبان وائل، ولكن لم يصل إلينا من آثاره إلا شيء قليل، وكان

يطيل الخطبة حتى يسيل عرقا ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ من غرضه. ونكتفي بدرس خطيبين شهيرين يمثلان ميزة الخطابة في عصرهما أحسن تمثيل، ألا وهما زياد ابن أبيه والحجاج "[1]؛

[1]– بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2014، ص 358.